

مرتكزات النقد الثقافي و الخطوات المنهجية للمقاربة الثقافية

The foundations of cultural criticism and the methodological steps of the cultural approach

سامية نعاس* (1)

جامعة الجزائر 02 أبو قاسم سعد الله، (الجزائر)

naas.samia02@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/30	تاريخ القبول: 2022/12/20	تاريخ الإرسال: 2022/10/18
-------------------------	--------------------------	---------------------------

المخلص :

يعد النقد الثقافي من أحدث التوجهات النقدية والمعرفية التي عرفها العالم الغربي مع نهايات القرن الماضي، حيث يبحث هذا النشاط عن الثقافي داخل الأدبي، وقد ظهر ذلك جليا إثر الدعوة إلى نقد "جديد" يتجاوز مقولات النقد الأدبي وعلى رأسها الجمالية، إلى نقد ثقافي يهتم بالأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء اللغوي، ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والمؤسساتي فهما وتفسيرا. ولسنا نعني بالنقد الثقافي نقد الثقافة، وإنما نعني به قراءة الثقافة للبحث عن الأنماط المضمرة، التي تختبئ تحت عباءة الجمالي في النقد الأدبي، فالنقد الثقافي يعتمد على أدوات النقد الأدبي المعدلة تعديلاً ثقافياً. لذلك لا بد أن نتحرك وراء مفهوم الثقافة، وكيفية ارتباطه بالنقد، حيث إن الثقافة تنشأ عن روح الشعب وعن عبقريته، والأمة الثقافية تسبق الأمة السياسية وتستدعيها. وتبدو الثقافة كمجموعة من الفتوحات الفنية والفكرية والأخلاقية التي تشكل ميراث أمة ما، وتعتبر هذا الميراث متحققاً بشكل نهائي وهو يؤسس وحدتها. إنَّ النقد الثقافي يبين الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين، ومدى تفاعله مع الثقافة، كما يربط بين البنية اللفظية والوضع الاجتماعي والفكري والثقافي. فهو يسعى إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خاصة تتدثر بأغطية الجمال والبلاغة. وهذه الأنساق

* سامية نعاس

المضمرة التي يسعى النقدي الثقافي لفضحها، هي أساس الاستهلاك الثقافي الذي يحدد مدى جماهيرية نص ما واستمراريته.

الكلمات المفتاحية:

النقد الثقافي ، النقد ، المقاربة الثقافية ، التأويل الثقافي ، الأنساق المضمرة .
الملخص باللغة الأجنبية :

Cultural criticism is one of the most recent critical and cognitive trends that the Western world knew about at the end of the last century, as this activity searches for the cultural within the literary, and this was evident after the call for a "new" criticism that goes beyond the categories of literary criticism, especially the aesthetic, to a cultural criticism that cares about patterns. Cultural criticism is behind the linguistic structure, and its study in its cultural, social, political, historical, and institutional context is an understanding and interpretation. Literary cultural modification. Therefore, we must move behind the concept of culture, and how it relates to criticism, as culture arises from the spirit and genius of the people, and the cultural nation precedes the political nation and summons it. Culture appears as a set of artistic, intellectual and moral conquests that constitute the inheritance of a nation, and this inheritance is considered to be definitively achieved as it establishes its unity. Cultural criticism shows the social and historical dimensions of a particular text, and the extent of its interaction with culture, as well as linking the verbal structure with the social, intellectual and cultural situation. These implicit patterns that cultural criticism seeks to expose, are the basis of cultural consumption that determines the extent and continuity of a text.

المحتوى:

النقد الثقافي من أحدث التوجهات النقدية والمعرفية التي عرفها العالم الغربي مع نهايات القرن الماضي، حيث يبحث هذا النشاط عن الثقافي داخل الأدبي، وقد ظهر ذلك جليا إثر الدعوة إلى نقد "جديد" يتجاوز مقولات النقد الأدبي وعلى رأسها الجمالية، إلى نقد ثقافي يهتم بالأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء اللغوي، ودراستها في سياقها الثقافي والاجتماعي والسياسي والتاريخي والمؤسساتي فهما وتفسيرا.

مفاهيم أساسية حول النقد الثقافي:

1- الثقافة المفهوم و السمات :

أ- مفهوم الثقافة :

إنّ مصطلح الثقافة عام و عائم و فضفاض في دلالاته اللغوية و الاصطلاحية، لذلك تعددت مفاهيم الثقافة، بين العلماء، كلّ حسب رؤيته لها، من خلال الفكر الذي يبحث فيه، وفيما يلي آراء العلماء في تعريف الثقافة.

- إدوارد بيرنت تايلور Edward Burnett Tylor :

« الثقافة هي ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة، والمعتقدات، والفنون، والأخلاقيات، والقوانين، والأعراف، والقدرات الأخرى، وعادات الإنسان المكتسبة؛ بوصفه عضواً في المجتمع».¹ الثقافة عند "تايلور" هي تعبير عن شمولية الحياة الاجتماعية للإنسان، وتتميز ببعدها الجماعي. والثقافة، في نهاية الأمر، مكتسبة، وبالتالي فهي لا تنشأ عن الوراثة البيولوجية. ومع أنها مكتسبة فإن أصلها وطابعها غير واعييين إلى حد كبير «².

• توماس ستيرنز إليوت Thomas Stearns Eliot:

«تختلف ارتباطات كلمة الثقافة بحسب ما نعينه من نمو فرد، أو نمو فئة أو طبقة، أو نمو مجتمع بأسره. وجزء من دعواي أن ثقافة الفرد تتوقف على ثقافة فئة أو طبقة، وأن ثقافة الفئة أو الطبقة تتوقف على ثقافة المجتمع كله، الذي تنتمي إليه تلك الفئة أو الطبقة. وبناء على ذلك فإن ثقافة المجتمع هي الأساسية...»³. يبدو أن "ت. س. إليوت" حذر في إبداء آرائه في هذه القضية. ولكنه يرى أن الثقافة ليست نتاجاً حتمياً لقوى أو عوامل محددة.

• حسين الصديق:

« الثقافة هي مجموع المعطيات التي تميل إلى الظهور بشكل منظم فيما بينها مشكلة مجموعة من الأنساق المعرفية الاجتماعية المتعددة؛ التي تنظم حياة الأفراد ضمن جماعة تشترك فيما بينها في الزمان والمكان. فالثقافة ما هي إلا التمثيل الفكري للمجتمع، والذي ينطلق منه العقل الإنساني في تطوير عمله وخلق إبداعاته، فهي بهذا المعنى تختلط بالمجتمع فلا يمكن التفريق بينهما إلا في مستوى التمثيل، فهي بالتالي تحدّد هوية المجتمع في كافة أبعاده المادية والمعنوية.»⁴.

إن ثقافة مجتمع ما هي مصدر كلّ القيم والأفعال وردود الفعل التي تصدر عن الأفراد المنتمين إلى ذلك المجتمع، وهي بالتالي مقياس كل شيء فيه، ومن خلالها يجب أن يفهم أو يُدرس.⁵

• مالك بن نبي:

الثقافة « هي مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه.»⁶ وعن المعنى التاريخي للثقافة، يقول: « هي تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة، وعقريات متقاربة، وتقاليدها متكاملة، وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة، وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطى الحضارة سميتها الخاصة ويحدد قطبيها: من عقلية ابن خلدون، وروحانية الغزالي، أو عقلية (ديكارت) وروحانية (جان دارك)، هذا هو معنى الثقافة في التاريخ.»⁷.

من خلال عرض الآراء السابقة عن تصورات المفكرين العرب والغربيين لمفهوم الثقافة، يمكن استنتاج الآتي:

- الثقافة هي المعرفة، المعتقدات، الفنون والأخلاقيات، القوانين، الأعراف، القدرات الأخرى، والعادات والتقاليد الخاصة بمجموعة معينة من الناس.
- الثقافة داخل المجتمع حصن حصين، وقوة فعالة، وقانون القوانين، لا يستطيع أحد المساس بها لأنها تشتمل على المعتقدات الدينية.
- الإغراق في الثقافة المحلية، يؤدي إلى العالمية. فكتابات نجيب محفوظ المغرقة في الثقافة المصرية، أدت به إلى الوصول للعالمية. وتقدم الشعوب يؤدي إلى انتشار ثقافتها، فيما يعرف بالعولمة.
- لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تختلف بالطبع عن ثقافات المجتمعات الأخرى، وقد يوجد في المجتمع الواحد ثقافات متعددة، قد تكون متجانسة، وقد تكون متباينة.
- نشأت الدراسات الثقافية في جُزء علماء الاجتماع. لذا فالثقافة تتحو دائماً منحي الاتجاه الاجتماعي، وتصبغ الدراسات الثقافية بالصبغة الاجتماعية. وانتقلت فيما بعد إلى علوم مختلفة: الأنثروبولوجيا، علم النفس، اللغويات، النقد الأدبي، نظرية الفن، الفلسفة، العلوم السياسية...
- الدراسات الثقافية من أغنى الدراسات بالدلالات المضمرة، و الأنساق المخفية، والتي تحمل تفسيراً لأشياء كثيرة، لا يمكن فهمها إلا بالعودة لدراسة الثقافة.

ب- سمات الثقافة :

- تحتوي الثقافة على سمات عديدة، ومن أهم تلك السمات أنها: إنسانية، مكتسبة، تطويرية، تكاملية، استمرارية، انتقالية، تنبؤية.⁸
- إنسانية: بمعنى أنها من صنع الإنسان ولا تنقل إلا بوساطته.
- مكتسبة: لأن الإنسان يكتسب ثقافته ممن يعيشون حوله منذ ولادته، سواء في ذلك الأسرة والحي والمجتمع والمدرسة، أي أن اكتسابه للثقافة ليس إرادياً، وإنما يتم بمساعدة الآخرين.
- تطويرية: لا تبقى على حالها بل تتغير وتتطور، ولكن هذا التطور والتغير لا يتم في جوهر الثقافة بل في الممارسة والتطبيق، ويكون ذلك نتيجة لحاجات الإنسان الجديد الذي يعيش في المجتمعات الحديثة.
- تكاملية: بمعنى أنها تشبع حاجات الإنسان وتريح نفسه، لأنها تقدم له حلولاً وتصورات جاهزة تجمع بين كل المسائل والجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية و"البيولوجية".

- استمرارية: لأنها تتبع من وجود الجماعة ورضاهم عنها وتمسكهم بها ونقلها إلى الأجيال اللاحقة، فهي بذلك تراث جماعي ووعي مشترك يرثه جميع أفراد المجتمع، ويسهمون في نقله إلى الأجيال التالية. وعلى ذلك فإنه لا يمكن القضاء على ثقافة مجتمع ما إلا بالقضاء على كل أفراد، أو تنويعهم في جماعة أكبر منهم وأقوى .
- انتقالية: لأنها تنتقل من جيل إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، فهي قابلة للتأثر والتأثير والانتشار بين الأمم الأخرى وخاصة عند توفر وسائل الاتصال الملائمة .
- التنبؤية: إنّ هذه السمة هي من أهم سمات الثقافة عموماً، فيما أن الثقافة تحدد أسلوب الأفراد وسلوكهم في المجتمع، فإنه بالإمكان التنبؤ بما يمكن أن يتصرف به فرد ما ينتمي إلى ثقافة معينة، لأن ثقافته تحتم عليه أسلوباً معيناً تجاه كل مشكلة من المشاكل التي تقابله في حياته اليومية .

2- تعريف النقد الثقافي الإرهاسات و المفهوم :

تحتضن إرهاسات البداية الخاصة بظهور "النقد الثقافي" فكرة تراجع النظرية أو المنهج، حيث تجتمع الرؤى من مدارس مختلفة لتتجزأ نقدًا يعتنق الرؤية الحداثية الشاملة قبل التقيد بضوابط منهج ما . ولقد كانت أول ممارسة للنقد الثقافي في أوروبا مع بداية القرن الثامن عشر، لكنها ممارسات لم ترق إلى مستوى معرفي إلا مع بداية التسعينيات من القرن العشرين وذلك حين دعا الباحث الأمريكي "فنسنت ليتش" إلى نقد ثقافي ما بعد بنيوي مهمته تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلائية، والدخول في أوجه الثقافة، ولا سيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبي.⁹

يعدّ " ليتش Leitch " أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي، وقد توقف أثناء تحديده للمصطلح عند الثقافة، وعبر عنها بأنها « دينامية (نشطة وحية) ومتعددة الأوجه، يدخل فيها الاقتصاد والتنظيم الاجتماعي والقيم الأخلاقية والمعنوية والمعتقدات الدينية والممارسات النقدية والأبنية السياسية وأنظمة التقييم والاهتمامات الفكرية والتقاليد الفنية»¹⁰ ، وعبر "ليتش" عن خصائص النقد الثقافي بأنه لا يكتفي بالرصد الجمالي للنصوص، بل ينفث إلى غيرها من الأنساق الثقافية، كما يستفيد من مناهج التحليل العرفية في تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية.

إذا كان "ليتش" هو أول من حدد مصطلح النقد الثقافي في الغرب، فإنّ "الغذامي" يعدّ أول من عربّه وطبقه على الخطاب الأدبي العربي. وقد عرف الثقافة بأنها: « آليات الهيمنة من خطط وقوانين وتعليمات ... ومهمتها هي التحكم بالسلوك»¹¹.

وذلك بالإضافة إلى التعريف المعتاد بأنها أنماط السلوك والخبرات ومجموع العادات والتقاليد. وبذلك يكون للثقافة بعدان، الأول: مختزن، والثاني: مهيم.

وفي سبيل وصول الغذامي لمفهوم محدّد "النقد الثقافي" أخذ يتساءل: هل في ديوان العرب أشياء أخرى غير الجماليات التي وقفنا عليها...؟ وكانت بداية الإجابة منه على هذا السؤال تحمل بُعداً انفصاليًا حادًا، وذلك حين وقف، في ندوة شعرية عقدت بتونس، يُعلن موت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي مكانه.¹²

وفي إطار هذا؛ اتهم الغذامي النقد الأدبي بأنه « أوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي ». ¹³

وهو بذلك يوجه النقد من العناية بالجماليات البلاغية إلى الجماليات الثقافية من حيث البحث عن علاقة النص بالإيديولوجيات والمؤثرات التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، مع إدخال الدراسة الجمالية أو الأدبية في التحليل النقدي الثقافي، بوصفها جزءاً من الثقافة، على ألا يكون البحث عن الجمالي في النص مقصوداً لذاته ومقصوراً عليها فقط.

ووفق هذه النظرة حدد الغذامي مفهوم "النقد الثقافي"، بأنه: « فرع من فروع النقد النصوي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية مَعْنَى بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته، ما هو غير رسمي وغير مؤسّساتي وما هو كذلك سواء بسواء. من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الثقافي الجمعي. وهو لذا مَعْنَى بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي، وإنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة (البلاغي/الجمالي)، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات، فإن المطلوب إيجاد نظريات في (القبحيات) لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس للمعهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه، وإنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي والحس » ¹⁴

لقد أمسك "الغذامي" بالعيب الأكبر للبلاغة والنقد الأدبي، المتمثل في أن البلاغة لا تخرع الجمالي ولا تؤسسه، فقط تقول لنا: لماذا الجميل جميل...؟ وتعجز عن الكشف عن مضمرات الخطاب الثقافي وعيوبه النسقية.

وحتى تقترب نظرية النقد الثقافي من الأفهام، يقارب "الغذامي" مفهومها بمفهوم (علم العلل) عند (أهل الحديث)، لتشابه الغرض بين العلمين، فيقول: « هو إذن نوع من علم العلل كما عند أهل مصطلح الحديث، وهو عندهم العلم الذي يبحث في عيوب الخطاب ويكشف عن سقطات في المتن أوفي السند، مما يجعله ممارسة نقدية متطورة ودقيقة وصارمة. ولا شك أن البحث في علل الخطاب يتطلب منهجاً قادراً على تشريح النصوص، واستخراج الأنساق المضمرّة، ورصد حركتها. وكما هي الدلالة اللغوية المزدوجة لكلمة (جميل) التي تعنى الشحم مثلما تعنى (الجمال) فإن في الثقافة أيضاً جمالاً من تحته

شحم، وكما أن الشحم لذيق وجذاب إلا أنه ضار وفتاك بالصحة البدنية، وكأنما لذته هي الوسطة والقناع لمضاره، وكذا هي الجماليات البلاغية تضمّر أضرارها وقبحياتها، والحاجة إلى كشف ذلك تصبّح هماً نقدياً مشروعاً وضرورياً.¹⁵ وعليه؛ إنّ النقد الثقافي يبين الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين، ومدى تفاعله مع الثقافة، كما يربط بين البنية اللفظية والوضع الاجتماعي والفكري والثقافي.

3- مرتكزات نظرية النقد الثقافي عند الغدامي:

ينبني النقد الثقافي على مجموعة من الثوابت والمفاهيم النظرية والتطبيقية، وهي بمثابة مرتكزات فكرية ومنهجية، لا بد أن ينطلق منها الباحث أو الدارس لمقاربة النصوص والخطابات فهما وتفسيراً وتأويلاً. وتتمثل هذه المفاهيم والمرتكزات في العناصر التالية:

1- الوظيفة النسقية:

يرى الغدامي أنه لا بد من ربط النقد الثقافي بالنسقية، فإذا كان رومان جاكبسون قد حدد ست وظائف لستة عناصر، الوظيفة الجمالية للرسالة، والوظيفة الانفعالية للمرسل، والوظيفة التأثيرية للمتلقي، والوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة الحفاظية للقناة، والوظيفة الوصفية للغة. فقد حان الوقت لإضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي. ويعني هذا أن النقد الثقافي يهتم بالمضمّر في النصوص والخطابات، وينتقل دلاليا من الدلالات الحرفية والتضمنية إلى الدلالات النسقية.

2- المجاز الكلي:

يهدف النقد الثقافي إلى استخلاص المجازات الثقافية الكبرى التي تتجاوز المجاز البلاغي والأدبي المفرد، حيث يتحول النص أو الخطاب إلى مضمرات ثقافية مجازية، وهذا معناه ؛أننا بحاجة إلى كشف مجازات اللغة الكبرى، والمضمرة، ومع كل خطاب لغوي هناك مضمر نسقي، يتوسل بالمجازية والتعبير المجازي، ليؤسس عبره قيمة دلالية غير واضحة المعالم، ويحتاج كشفها إلى حفر في أعماق التكوين النسقي للغة، وما تفعله في ذهنية مستخدمها.¹⁶

إنّ المجاز الكلي هو الجانب الذي يمثل قناعا تتقنع به اللغة لتمرر أنساقها الثقافية دون وعي منا. وعليه ؛ يمكن القول : أن النص أو الخطاب الثقافي يتحول إلى استعارات ومجازات كلية تحمل في طياتها مدلولات و مقصديات ثقافية مباشرة وغير مباشرة.

3- التورية الثقافية:

تتكئ التورية الثقافية في النقد الثقافي إلى معنيين : معنى قريب غير مقصود، ومعنى بعيد مضمّر، وهو المقصود. ويعنى هذا أن التورية الثقافية هي كشف للمضمّر الثقافي المختبئ وراء السطور .إن

التورية هي مصطلح دقيق ومحكم، وهو في المعهود منه يعني وجود معنيين أحدهما قريب والآخر بعيد، والمقصود هو البعيد، وكشفه هو لعبة بلاغية منضبطة، ونحن هنا نوسع من مجال التورية لا لتكون بهذا المعنى البلاغي المحدد، ولكننا نقول بالتورية الثقافية¹⁷. أي: إن الخطاب يحمل نسقين، لا معنيين، وأحد هذين النسقين واع والآخر مضمر. وهكذا، يوسع الغدامي البلاغة العربية القديمة، ليتخذ من التورية مفهوما إجرائيا جديدا، بغية تطبيقه على النصوص في ضوء المقاربة الثقافية.

4- الدلالة النسقية:

بناء على ما ذهب إليه الغدامي بإضافة عنصر سابع إلى عناصر الرسالة الستة (العنصر النسقي)، فإن هذا العنصر سيصبح المولد للدلالة النسقية، والحاجة إلى الدلالة النسقية هي لب القضية، إذ يرى الغدامي أن ما نعهده من دلالات لغوية لم تعد كافية لكشف كل ما تخبئه اللغة من مخزون دلالي، ولدينا الدلالة الصريحة التي هي الدلالة المعهودة في التداول اللغوي، وفي الأدب وصل النقد إلى مفهوم الدلالة الضمنية، فيما نحن هنا نقول بنوع مختلف من الدلالة هي الدلالة النسقية، وستكون نوعا ثالثا يضاف إلى الدلالات تلك. والدلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي. ونحن نسلم بوجود الداليتين الصريحة والضمنية، وكونهما ضمن حدود الوعي المباشر، كما في الصريحة، أو الوعي النقدي، كما في الضمنية، أما الدلالة النسقية فهي في المضمر وليست في الوعي، وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي لكي تكتشفها، ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء.¹⁸

وما يهمنا في هذه الدلالات الثلاث هي الدلالة النسقية الثقافية - وهي ذات بعد نقدي ثقافي وترتبط بالجملة الثقافية كما سنرى - والتي تكشف على مستوى الباطن و المضمر فتصبح من أهم الداليتين السابقتين .

5- الجملة الثقافية:

يتناول الغدامي الجملة الثقافية انطلاقا من الدلالة النسقية حيث يقول: «و تبعا لقولنا بالدلالة النسقية فإنه من اللازم أن نستعين بمفهوم خاص للجملة، فإذا كانت الدلالة الصريحة تستند إلى الجملة النحوية والدلالة الضمنية تنشأ عن الجملة الأدبية، فلا بد لنا من تصور خاص يسمح للدلالة النسقية بأن تتولد، وهو هنا ما سنسميه بالجملة الثقافية. و(الجملة الثقافية) هي المقابل النوعي للجملتين النحوية والأدبية. بحيث نميز تمييزا جوهريا بين هذه الأنواع، من حيث إن الجملة الثقافية مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة للتشكيل الثقافي الذي يفرز صيغه التعبيرية المختلفة، و يتطلب بالتالي نمودجا منهجيا

يتوافق مع شروط هذا التشكل ويكون قادرا على التعرف عليها ونقدها. وستكون أنواع الجمل ثلاثا كالتالي:

- 1- الجملة النحوية المرتبطة بالدلالة الصريحة.
 - 2- الجملة الأدبية ذات القيم البلاغية والجمالية المعروفة .
 - 3- الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمير الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة¹⁹.
- إذن النقد الثقافي يعتمد على التمييز المنهجي بين ثلاث جمل رئيسة، وهي: الجملة النحوية ذات المدلول التداولي، والجملة الأدبية ذات المدلول الضمني والمجازي والإيحائي، والجملة الثقافية التي هي حصيلة الناتج الدلالي للمعطى النسقي، وكشفها يأتي عبر العنصر النسقي في الرسالة، ثم عبر تصور مقولة الدلالة النسقية، وهذه الدلالة سوف تتجلى وتتمثل عبر الجملة الثقافية. والجملة الثقافية ليست عددا كميًا، إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية. أي: إن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازية وتعبير مكثف. ونفهم من كل هذا أن الجملة الثقافية هي الهدف والمرمى، وأنها تعنى باستكشاف المنطوق الثقافي، وتحصيل المعنى السياقي الذي يحيل على المرجع الثقافي الخارجي.
- 6- المؤلف المزدوج:

يمكن الحديث في إطار المقاربة الثقافية - بشكل من الأشكال - عن مؤلف مزدوج، الكاتب الجمالي والأدبي الذي ينتج أنساقا أدبية وجمالية فنية ظاهرة ومباشرة أو غير مباشرة، وذلك عن طريق الرمزية والإيحائية، وهناك في المقابل المبدع الثقافي الذي يتمثل في الثقافة نفسها التي تتوارى وراء الظاهر في شكل أنساق مضمرة غير واعية؛ و يأتي مفهوم المؤلف المزدوج بعد هذه المنظومة الاصطلاحية لتأكيد أن هناك مؤلفا آخر بإزاء المؤلف المعهود، وذلك هو أن الثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف آخر يصاحب المؤلف المعلن، وتشترك الثقافة بغرس أنساقها من تحت نظر المؤلف، ويكون المؤلف في حالة إبداع كامل الإبداعية حسب شرط الجميل الإبداعي، غير أننا سنجد من تحت هذه الإبداعية وفي مضمير النص سنجد نسقا كامنا وفاعلا ليس في وعي صاحب النص، ولكنه نسق له وجود حقيقي، وإن كان مضمرا، إننا نقول بمشاركة الثقافة كمؤلف فاعل ومؤثر، والمبدع يبدع نصا جميلا فيما الثقافة تبذل نسقا مضمرا، ولا يكشف ذلك غير النقد الثقافي بأدواته المقترحة هنا.

وهذا ما ذهب إليه الغدامي قائلا : « أن في كل ما نقرأ وما ننتج وما نستهلك هناك مؤلفين اثنين، أحدهما المؤلف المعهود ، مهما تعددت أصنافه كالمؤلف الضمني و النموذجي و الفعلي . و الآخر هو الثقافة ذاتها ، أو ما أرى تسميته هنا بالمؤلف المضمير ، وهو ليس صيغة أخرى للمؤلف الضمني ، و إنما هو نوع من المؤلف النسقي... هذا المؤلف المضمير هو الثقافة ، بمعنى أن المؤلف

المعهود هو ناتج ثقافي مصبوغ بصبغة الثقافية، أولاً ، ثم إن خطابه يقول من داخله أشياء ليست في وعي المؤلف ، ولا هي في وعي الرعية الثقافية ، وهذه الأشياء المضمرة تعطي دلالات تتناقض مع معطيات الخطاب سواء ما يقصده المؤلف أو ما هو متروك لاستنتاجات القارئ. و ما قلناه عن كون المضمرة الدلالي يتناقض مع معطيات الخطاب هو شرط في الفعل النقدي الثقافي ، و إذا لم يتحقق هذا الشرط فلن يكون هناك نقد ثقافي ...²⁰ . ويعني هذا أن هناك فاعلين رئيسيين: المبدع الفردي أو ما يسمى أيضاً بالمبدع الأدبي والجمالي والفني، والفاعل الثقافي الذي يتمثل في السياق الثقافي.

في ظل الاعتبارات السالفة إذن ؛ يبنى النقد الثقافي على نظرية (النسق المضمرة). حيث أضاف الغدّامي عنصراً سابقاً إلى عناصر النموذج اللغوي عند ياكبسون (المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السياق، الشفرة، أداة الاتصال) وهو: (النسق) فتكون وظيفة الخطاب في هذه الحالة (نسقية) . وهو نسق ثقافي، وتاريخي، يتكون عبر البنية الثقافية والحضارية، ويتقن الاختفاء من تحت عباءة النصوص، ويكون له دور سحري في توجيه عقلية الثقافة، وذائقتها، ورسم سيرتها الذهنية والجمالية. وعليه فإن النقد الثقافي هو مشروع في نقد الأنساق، وهذا تحول جذري ونوعي يفترق فيه النقد الثقافي عن النقد الأدبي، بما أن الأخير معني بنقد النصوص، وهو بحث في جماليات اللغة وتوظيف للمجاز للكشف عن تلك الجماليات. كما أن المجاز الكلي هو المفهوم البديل عن المجاز البلاغي، وفي المجاز الكلي تنشأ الجملة الثقافية وتنشأ الدلالة النسقية، والجملة الثقافية هي رديف مصطلحي للجمليتين النحوية والأدبية، والفرق بين الجملة الثقافية وهاتين الجمليتين يماثل - بل يفوق - الفرق بين الجملة الأدبية والجملة النحوية، وإن كانت النظرية البلاغية والنظريات النقدية قد ميزت تمييزاً كبيراً بين الجملة النحوية والجملة الأدبية، وبين المعنى والدلالة، وبين الدلالة الصريحة والدلالة الضمنية، فإن النقد الثقافي يميز بين ذلك كله وبين الجملة الثقافية ومعها الدلالة النسقية ومفهوم المجاز الكلي كتطور نظري ومفاهيمي باتجاه نقد الأنساق لا نقد النصوص، وباتجاه التأسيس لوعي نظري ونقدي مختلف نوعياً وإجرائياً.

أياً ما يكن الشأن ؛ فإن النقد الثقافي . عند الغدّامي . نظرية نقدية/ألسنية الأدوات ومعرفية القيمة وثقافية المضمون وهي نقد للأنساق آخذة بالمجاز الكلي والتورية الثقافية والنسق المضمرة والدلالة النسقية. ونقول إنه بديل عن النقد الأدبي بعد أن فقد هذا النقد وظيفته، حينما بلغ حد التشبع من جهة ولم يعد قادراً على كشف الأنساق، وقد كان همه منصبا على جماليات النصوص وليس على ما وراء ذلك من أنساق مضمرة.

4- خصائص النقد الثقافي :

أ- خصائص النقد الثقافي عند "ليتش" :

يقوم النقد الثقافي عند ليتش على ثلاث خصائص : ²¹

- لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل يفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، سواء كان خطاباً أو ظاهرة.
- من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي النقدي والتحليل المؤسساتي.
- إن الذي يميز النقد الثقافي الما بعد بنيوي هو تركيزه الجوهرى على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي لدى بارت ودريدا وفوكو، خاصة في مقولة دريدا أن لا شيء خارج النص، وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي الما بعد بنيوي، ومعها مفاتيح التشريح النصوصي كما عند بارت، وحفريات فوكو.

ب- خصائص النقد الثقافي بصفة عامة :

ومن أهم الخصائص التي تميز النقد الثقافي : ²²

- إبعاد الانتقائية المتعالية التي تفصل بين الإنتاج النخبوي والإنتاج الشعبي؛ فيقوم بدراسة ما هو جمالي وغير جمالي.
- كشف جماليات أخرى في النص لم يلتفت إليها من قبل .
- يعتمد النقد الثقافي على النقد الأدبي، ولا يقوم بدونه، فالنقد الثقافي مكمل للنقد الأدبي، لذا أضاف "الغذامي" مستحدثات جديدة على النقد الأدبي، تطور منه لتجعل منه نقداً ثقافياً فعالاً، ولم يبتز النقد الأدبي، وذلك عكس ما دعى إليه من موت النقد الأدبي ليحل مكانه النقد الثقافي.
- الدخول في عمق النص بدلاً من النظرة السطحية.
- كشف القيم الفضلى والحقيقية للنص.
- تذوق النص بوصفه قيمة ثقافية، لا مجرد قيمة جمالية، وذلك من خلال عن الكشف عن الأنساق المضمرة في الخطاب الثقافي.
- الكشف عن حقائق تحيط بالنص وقائله، من معرفة الخلفية التاريخية للنص وقائله، وأهم المقومات التي أثرت في شخصية القائل.
- ربط العلوم الإنسانية بالأدب (علم الاجتماع . علم النفس . التاريخ) مما يساهم في إثراء النص والساحة الثقافية.

- يرتبط النقد الثقافي بالعمل السياسي، فهو يربط عمل المثقف بالسلطة، والسلطة بالمثقف، ويدرس العلاقة المترتبة على ذلك .
- كشف حقائق متعلقة بالنصوص المهمشة من خلال إلقاء الضوء عليها، حيث يهتم هذا النوع من النقد بنصوص المعارضة، والأدب الشعبي، والأدب النسوي، ونحو ذلك .
- يتناول النقد الثقافي النسق المضمّر في الثقافات المحلية، للارتقاء بها وتسويقها إلى العالمية.

ت- وظيفة النقد الثقافي:

لمعرفة جماليات التحليل الثقافي The poetics of cultural analysis لا بد من التعرض لمفهوم جماليات الثقافة، وتتمثل في مجموع القيم والعادات والتقاليد والمعتقدات وأساليب التفكير وطرق المعيشة المرتبطة بالجانب الثقافي، وهذه الجماليات تستلزم وضع آليات جديدة في النظرة للنص الأدبي، وتوسيع آفاق الرؤية. والعلاقة بين الجماليات الثقافية والجماليات الأدبية أن الثانية تندرج تحت الأولى، لكون الجماليات الأدبية - رغم ضرورتها في نقد الخطاب الأدبي - فإنها غير كافية لمشروع النقد الثقافي.²³ وتكمن وظيفة "النقد الثقافي" في كونه يُشرّح العمل أو الخطاب؛ معللاً ديمومته وذيوه، من خلال الوقوف على المعاني الباطنية، والدلالات الكامنة خلف الألفاظ المباشرة، ولو تأملنا شاعراً "كأحمد مطر" نجده قد أثر في الكيان العربي، على الرغم من كونه لم يتسلّح بجماليات شاعر كالبحثري في قوله: أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاكِحاً مِّنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ.

نعم يتناغم النُخبة حين يسمعون هذا البيت وغيره من شعر البحثري، لكنّ جمالية شعره لا تدوم أمام جماليات الثقافة المضمرة في شعر "مطر" حين شرّح الذات العربية وعبر عنها، وبذلك تبدو وظيفة النقد الثقافي - كما قال الغدامي - في "نقد المستهلك الثقافي"²⁴.

يسعى مشروع النقد الثقافي إلى التعامل مع النصوص ، وذلك على اعتبار أنّ النص علامة ثقافية قبل أن يكون قيمة جمالية ، وهذه العلامة الثقافية لا تتحقق دلالتها إلا من خلال سياقه الذي أنتجها أول مرة (سياق المؤلف ، وسياق القارئ أو الناقد) الذي تلقاها بعد ذلك في سعيه نحو التفسير، فالنقد الثقافي يهتم بالمضمرات الدلالية الكامنة وراء الخطاب الجمالي الظاهر، هذا الأخير الذي صنّعه المؤسسة بعلاقات إنتاجها لذلك فالنقد الثقافي في سعيه الحثيث للوصول إلى نقد كاشف، يبطل مفعول النشاط المخدر الذي تمارسه المؤسسة على النشاط النقدي.

5- رواد المنهج الثقافي :

ثمة مجموعة من رواد الدراسات الثقافية بصفة عامة والنقد الثقافي بصفة خاصة.

5-1- رواد الدراسات الثقافية (Cultural studies): ومن بين هؤلاء نذكر:

أ- الرواد الغربيون:²⁵

- ماثيو آرنولد Mathew Arnold في كتابه: "الثقافة والفوضى" (1869م)، ومقاله الثقافي الآخر: "مهمة النقد في الوقت الحاضر" (1865م).
- تاييلور Taylor في كتابه: "الثقافة البدائية" (1871م).
- ميشال فوكو Michel Foucault (1926-1984): فيلسوف فرنسي من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين، تأثر بالمدرسة البنيوية، أما في مشروعه الثقافي، فقد حلل تاريخ الجنون في كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي". كما عالج مواضيع مثل الإجرام والعقوبات والممارسات الاجتماعية في السجون، وابتكر مصطلح "أركولوجية المعرفة"، كما حاول التأريخ للجنس من خلال "حب الغلمان عند اليونان"، وصولاً إلى معالجاته الجدلية المعاصرة كما في "تاريخ الجنسية". له أيضاً في هذا المجال كتاب "الكلمات والأشياء" صدر أواخر الستينات، وهو بحث حفري في العلوم الإنسانية.
- ريتشارد هوجارت Richard Hoggart: ويعتبر من مؤسسي الدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة بيرمينجهام، ويعد كتابه "قوائد القراءة والكتابة" كتاباً تأسيسياً في هذا المجال.
- ريموند ويليامز Raymond Williams: ومن مؤلفاته "الثقافة والمجتمع"، و "الثورة طويلة الأجل"، ويرى "ويليامز" أن الثقافة هي كيان واحد لا يتجزأ، وأسلوب حياة كامل من الناحية المادية والفكرية والروحية، وقد تتبّع مراحل تطور الثقافة، كما اهتم بظهور الثقافة الإنسانية في مجتمعات معينة حيث تشكل الأنظمة المحلية والمعاصرة.
- ستيوارت هول Stuart Hall: عالم اجتماع وناقد أدبي، انضم إلى مركز الدراسات الثقافية منذ تأسيسه، وقد أمد "هول" حقل الدراسات الثقافية بتأثيرات ماركسية محورة أو مطورة، وظل مؤمناً بضرورة أن يكون لهذا الحقل من الدراسات ارتباط وتأثير في الواقع. فالقيمة الحقيقية عنده للمعرفة وللفكر تتمثل في مقدار تفاعلها وتأثيرها على المجتمع. وقد تأثرت الدراسات الثقافية البريطانية بكتابات "ألتوسير" و"أنطونيو غرامشي" بوجه خاص، إضافة إلى تأثيرات ماركسية أخرى.
- بيير بورديو Pierre Bourdieu: ويعد من أعلام الدراسات الثقافية الفرنسية، ومما يراه أن الملكة الثقافية هي القدرة على قراءة الشفرات وفهمها، إلا أن هذه القدرة ومن ثم الملكة الثقافية لا يتم توزيعها بين الطبقات الاجتماعية بشكل متاح.

ب- الرواد العرب :

- **ابن سلام الجمحي** : لقد حمل مصطلح الثقافة عند ابن سلام الجمحي معنى الإتقان، حيث يقول: « ولشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما يتقنه العين، ومنها ما يتقنه الأذن، ومنها ما يتقنه اليد، ومنها ما يتقنه اللسان». ²⁶
معنى هذا أن الشعر معطى ثقافي يوازى الثقافة في عمومها، ومن ثم نلاحظ أن الوعي التراثي يلزم بين العروبة والشعر. بوصف الشعر مخزون الشخصية العربية.
- **ابن رشيق**: يرى ابن رشيق أن الثقافة ضرورة ملحة، لذلك أوجب على الشاعر الإلمام بها وبمعطياتها، حيث يقول: « والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل: من نحو، ولغة، وفقه، وخبر، وحساب، وفريضة، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكتف بذاته، مستغن عما سواه؛ ولأنه قيد للأخبار، وتجديد للآثار...ولياخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر، ومعرفة النسب، وأيام العرب؛ ليستعمل بعض ذلك فيما يريد من ذكر الآثار، وضرب الأمثال، وليلقى بنفسه بعض أنفاسهم ويقوى بقوة طباعهم، فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر، ومعرفة الأخبار » ²⁷
فهذا تأكيد لدعوى النقد الثقافي، وشموله لجميع الدراسات الإنسانية داخل الشعر ليصبح بذلك موسوعة شعرية ديوانية.
- **ادوارد سعيد** : مفكر وناقد ومنظر ذو أصول فلسطينية ، ويعتبر كتابه "الاستشراق" أحد نتائج هذه المنهجية الدراسية الجديدة، فانطلاقا من تصورات الاستعمار والاستعمار الجديد اللذين هيمنوا على جزء كبير من أقاليم الكرة الأرضية. انكب ادوارد سعيد على دراسة انعكاسات تلك التصورات الاستعمارية في الأفكار السياسية الغربية، والأبحاث التاريخية، وأبحاث الآثار، وامتد تحليله إلى رحلات الاستكشاف والأدب الروائي والمسرحي، والفلسفة، وصولا إلى الثقافة الشعبية...ولقد فتح هذا الكتاب، آفاقا جديدة في ميدان البحث وعلاقات البحث بين الغرب والمشرق العربي المعقد، وكانت نظريته متميزة بمعالجة دقيقة، ومعايشة مهمة لروافد الثقافة العربية، وكانت له تحليلات مهمة للفن العربي والشرقي.
- **محمد عابد الجابري** : له دراسات تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية سنة 1985.
- **جابر عصفور** : وذلك من خلال تناوله للكثير من القضايا النقدية التي تنشر شهريا في مجلة العربي الكويتية.
- **إدريس الخضراوي** : وذلك من خلال كتابه "الأدب موضوعا للدراسات الثقافية"، الذي يحاول الاقتراب من مجموعة من القضايا الشائكة التي تتنازل أسئلتها المتعددة حول النقد ومفهومه، وما أنتجه ذلك من جدل وسجال في تاريخ المعرفة الأدبية، فضلا عن تاريخ الأفكار وتجلياته المتعددة في نظرية الأدب

بشكل عام. وقد قدم الباحث في هذا الكتاب نماذج من النقد الثقافي عند كبار مؤسسيه، وممارسيه في الزمن الثقافي المعاصر. ويمكن إجمال قضايا هذا النقد في أربع : الذات، الهوية، الآخر، المرأة. كما أن عمله يفصح عن اجتهاد وفائدة، الاجتهاد يتجسد في محاولة لمّ تشعبات وتداخلات أنساق ثقافية معاصرة لمرجعيات مختلفة، والفائدة يلمسها القارئ في التعرف على لغة نقدية جديدة انتصرت لمفهوم نظري وإجرائي، أخذ يتجذر في الممارسة الثقافية النقدية العربية المعاصرة. إنه مفهوم النقد الثقافي الذي لا يقتصر على النقد بل قد يمتد إلى الأدب الذي هو في جوهره نص ثقافي، يعكس كتابة متعددة الأنظمة والصيغ و الأنساق.²⁸

5-2- رواد النقد الثقافي (Cultural criticism):

ومن جهة أخرى، ثمة مجموعة من رواد النقد الثقافي ، و من هؤلاء نذكر :

أ- الرواد الغربيون :²⁹

ومن أهم هؤلاء النقاد الغربيين الذين أثروا النقد الثقافي (Cultural criticism) ، نستحضر:

• **فنسنت بي ليتش Vincent . B Leitch** : الناقد الأمريكي، الذي اهتم بالنقد الثقافي منذ سنوات الثمانين من القرن العشرين، وخاصة في كتابه: "النقد و الطابو: النقد الأدبي والقيم" (1987م)، حيث بلور منهجية جديدة سماها النقد الثقافي، باستichاء فلسفة ما بعد الحداثة، وآراء ما بعد الماركسية. وقد اشتغل ليتش على تقويم ثلاثة نقاد أمريكيين، وهم الناقد "واين بوث" Wayne Booth صاحب التعددية الليبرالية، و"روبرت شولز" Robert Scholes صاحب البنيوية، و "هيليز ميلر" Hillis Miller ممثلي التفكيكية. وقد أصدر "ليتش" مجموعة من الكتب النقدية، منها: ما بعد البنيوية، والنقد الثقافي، والنظرية الأدبية، والنقد الأدبي الأمريكي،...

هذا، وقد كتب "ليتش" مجموعة من المقالات النقدية في إطار النقد الثقافي للتعريف به نظريا وتطبيقا، وذلك منذ سنة 1987م لتبيان موقفه من ما بعد الحداثة، وموقفه من مدرسة "ييل" Yale التفكيكية. وقد كتب "ليتش" سنة 1983م كتابا حول النقد الثقافي، مبينا مرتكزاته النظرية والتطبيقية.

• **جانيت وولف Janet Wolff** : وقد كتبت كتابا بعنوان: " في الطريق مرة أخرى: استعارات السفر في النقد الثقافي".

• **أرثر أيزا برجر Arthur Asa Berger** : وكتب كتابا عنوانه: " النقد الثقافي: تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية " Cultural Criticism A Primer of K Concepts .

ب- الرواد العرب :

ومن أشهر الدارسين العرب الذين اهتموا بالنقد الثقافي، نذكر:³⁰

- سعد البازعي و ميجان الرويلي: في كتابهما: " دليل الناقد الأدبي".
- حفناوي بعلي : الباحث الجزائري في كتابه: "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن".
- صلاح قنصوة: في كتابه: "تمارين في النقد الثقافي".
- محسن جاسم الموسوي : العراقي الذي تناول الموضوع تحت عنوان: "النظرية والنقد الثقافي".
- محمد عبد الله الغدامي³¹: يعد من أكبر النقاد العرب الذين تبنا منهج النقد الثقافي، بل ذهبوا إلى حد تطبيقه على الثقافة العربية. وقد كانت أول كتبه في مشروعه النقدي، عبارة عن دراسة لخصائص شعر حمزة شحاتة الألسنية، تحت اسم "الخطيئة والتفكير : من البنيوية إلى التشرحية". كما له كتاب تحت اسم "حكاية الحداثة في المملكة العربية السعودية"، الذي أثار جدلا واضحا حيث يؤرخ للحداثة الثقافية في السعودية. ويعد الغدامي من الأصوات الأخلاقية في المشهد الثقافي السعودي والعربي. وله عدة مؤلفات أغنى بها المشهد النقدي العربي، حيث أصدر أكثر من كتابا في شتى حقول المعرفة والنقد... أبرزها : الخطيئة والتفكير، التفكير والتفكير، تشريح النص، الصوت الجديد القديم، الموقف من الحداثة، الكتابة ضد الكتابة، ثقافة الأسئلة، القصيدة والنص المضاد، المشاكلة والاختلاف، رحلة إلى جمهور النظرية، المرأة و اللغة... يعد كتاب (النقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية) - كتابا مثيرا حيث تولى بجرأة وشجاعة طرح فكرة النقد الثقافي طرحا جديا مشبوبا، كما أصل لهذه الفكرة نظريا ومعرفيا وممارسة. إن كتاب النقد الثقافي دراسة في نظرية النقد الثقافي، وجعل منها مدخلا لفهم العيوب النسقية في الشعر العربي - بصفته ديواننا والخطاب الأبرز للأمة العربية - ، عبر تتبع منافذ هذه العيوب في كتب التاريخ ومدونات الشعر، حتى ينتهي للشعر المعاصر وقضية الحداثة التي يحاكم فيها أبرز الشعراء المعاصرين كنزار قباني وأدونيس. وقد انطلقت فكرة مشروع النقد الثقافي عند الغدامي من خلال مجموعة من المناقشات واللقاءات بمجموعة من المدن العربية منذ أواخر سنوات التسعين، وتعدّ الثقافة العربية الموضوع الأساسي لكتاب النقد الثقافي حيث حاول من خلاله الغدامي مقاربتها ودراستها وفق آليات المنهج الثقافي من خلال ما يتعلق بأداب البادية، والشعر النبطي، والأدبيات الشعرية... ويعتبر هذا الكتاب، أول كتاب عربي يحمل من خلال عنوانه إشارة صريحة إلى تبني النقد الثقافي منهجا في الدراسة والتحليل.³²
- وغير هؤلاء من الرواد كثير، وتدل هذه العناوين بمفكرتها، على وعي أصيل بالمسألة الثقافية، إلى جانب ما تناوله من موضوعات لها علاقة بالثقافة العربية، بجانب الكثير من الأعمال النقدية التي تناولت النصوص العربية.

6- الخطوات المنهجية للمقاربة الثقافية :

يستند النقد الثقافي منهجيا إلى مجموعة من الخطوات التحليلية، والمفاهيم النظرية، والمصطلحات الإجرائية، التي يمكن الانطلاق منها لمقاربة النصوص والخطابات الثقافية فهما وتفسيرا. وتتمثل هذه الخطوات المنهجية في ما يلي³³:

- طرح أسئلة ثقافية جديدة كسؤال النسق بدلا عن سؤال النص، وسؤال المضمّر بدلا عن سؤال الدال، وسؤال الاستهلاك الجماهيري بدلا عن سؤال النخبة المبدعة، وسؤال التأثير الذي ينصب على ثنائية المركز والمهمش، أو ثنائية المؤسسة والمهمل، أو سؤال العمومي والخصوصي. وتعبير آخر، طرح أسئلة ثقافية مركزة ودقيقة.

- الانطلاق من النص أو الخطاب باعتباره حاملا للعلامات الثقافية التي ينبغي التعامل معها فهما وتفسيرا وتأويلا.

- الانطلاق من النصوص والخطابات الأدبية والفنية والجمالية لاستكشاف الأنساق الثقافية المضمرة.
- رصد حيل الثقافة التي تمرر عبر أنساق النصوص والخطابات الجمالية والفنية والأدبية. ويعني هذا أن النص الأدبي حامل أنساق ثقافية مضمرة وغير واعية. ومن هنا، الوقوف على الأنساق الثقافية، وليس على النص الأدبي والجمالي.

- التركيز على الأنساق الثقافية المضمرة، والدلالات النسقية الثقافية، وآليات البلاغة الثقافية من مجاز كلي وتورية نسقية.

- إن وظيفة النص ليست الوظيفة الأدبية أو الشعرية أو الجمالية كما يقول رومان جاكسون في نظامه التواصل، بل هي الوظيفة النسقية الثقافية .

- الاهتمام بالمضمّر الثقافي، بدلا عن الاهتمام بالدوال اللغوية ذات الطبيعة الحرفية أو التضمينية (الإيحائية). فقد اكتشف عبد الله الغدامي أن: "كبار مبدعينا كأبي تمام والمتنبي ونزار قباني وأدونيس، حيث نكتشف ما تتطوي عليه نصوصهم من أنساق مضمرة تنبئ عن منظومة طبقية/فحولية/رجعية/استبدادية، وكلها أنساق مضمرة لم تك في وعي أي منهم، ولا في وعي أي منا، ونحن ضحايا ونتائج لهذه الأنساق. وظلت هذه الأنساق اللاإنسانية و اللاحضارية تتسرب في ضميرنا الثقافي، دون كشف أو ملاحظة، حتى لنجد تماثلا مخيفا بين الفعل الشعري والطاغية السياسي والاجتماعي، مما هو لب النسق وبؤرته غير الملحوظة. ولقد آن الأوان لممارستنا النقدية بأن تتحرك باتجاه نقد الخطاب الإبداعي، من بوابة النقد الثقافي لتكشف ما يحمله الإبداع، لا من جماليات نسلم بها، ولكن من قبليات نسقية لم نكن ننتبه لها.

• اكتشاف التأثيرات التي تخلفها الأنساق المضمرة في الوسط الثقافي بصفة خاصة، والوسط الجماهيري بصفة عامة. أي: الانتقال من ثقافة النخبة إلى ثقافة الجماهير.

• الانتقال من مرحلتي: الفهم والشرح إلى مرحلة التأويل الثقافي.

هذا، ويمكن أن نطرح توجهها منهجيا جديدا في إطار النقد الثقافي، يتسم بشكل من الأشكال بنوع من الوضوح والانسجام والتسلسل والإضافة العلمية، مع استخدام المفاهيم نفسها التي طرحها الباحث السعودي الدكتور عبد الله الغدامي في كتابه: "النقد الثقافي". ويمكن حصر هذه الخطوات المنهجية في المراحل التالية:

✓ **مرحلة المناص الثقافي:** ندرس فيها كل العتبات الثقافية من مؤلف، وعنوان، ومقدمة،

وهدايات، وسياق، وهوامش، ومقتبسات، وصور، وأيقونات، ووسائط إعلامية... وكل ذلك من أجل استخلاص الأبعاد الثقافية في هذه العتبات الفوقية والمحيطية.

✓ **مرحلة التشريح الداخلي:** هنا، نقوم بتحليل النص وتشريحه وتفكيكه جماليا وبنويا وسميائيا وأسلوبيا، فلابد من الاهتمام بما هو فني ولغوي وأسلوبى وبلاغي لفهم ما هو ثقافي.

✓ **مرحلة الرصد الثقافي:** تعتمد هذه المرحلة على رصد التظاهرات الثقافية، واستخلاص الأنساق الثقافية المضمرة، وذلك بالوقوف عند الجمل والمجازات والكنائيات والصور والدلالات و الأنساق الثقافية المضمرة.

✓ **مرحلة التأويل الثقافي:** نتكئ في هذه المرحلة على العلوم الإنسانية كالتاريخ، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم الثقافة، وعلم النفس، والنقد الأدبي في استجلاء الأبعاد الثقافية، وفضح الإيديولوجيات، ونقد الأوهام والأساطير المؤسسية، وذلك في شكل أحكام وخلاصات واستنتاجات ثقافية.

استناداً لما تم تقديمه ، إنّ النقد الثقافي يبين الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لنص معين، ومدى تفاعله مع الثقافة ،كما يربط بين البنية اللفظية والوضع الاجتماعي والفكري والثقافي.فهو يسعى إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خاصة تتدثر بأغطية الجمال والبلاغة. وهذه الأنساق المضمرة التي يسعى النقدي الثقافي لفضحها، هي أساس الاستهلاك الثقافي الذي يحدد مدى جماهيرية نص ما واستمراريته.

الهوامش :

- 1 - زيودين ساردار و بورين فان لون : الدراسات الثقافية ، ترجمة : وفاء عبد القادر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2003 ص 8 .
- 2 - دوني كوش : مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، ترجمة : قاسم المقداد ، ص 22 .
- 3 - توماس سـتيرنز إليوت : ملاحظات نحو تعريف الثقافة ، ترجمة : شكري عياد ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2000 ، ص 379 .
- 4 - حسين الصديق : الإنسان و السلطة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 ، ص 17 / 18 .
- 5 - ينظر : حسين الصديق : الإنسان و السلطة ، ص 18.
- 6 - مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ببيروت ودمشق ، 2000 ، ص 74 .
- 7 - مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، ص 77 .
- 8 - حسين الصديق : الإنسان و السلطة ، ص 19.
- 9 - ينظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005 ص 31 / 32 .
- 10 - فنسنت بي ليتش: النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ترجمة :محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2000م، ص 104.
- 11 - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3 ، ص 74.
- 12 - ينظر : عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3 ، ص 8/7 .
- 13 - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3 ، ص 8.
- 14 - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ط3 ص 83/84.
- 15 - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي "قراءة في الأنساق الثقافية العربية" ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ط 1 ، 2000، ص 87/88.
- 16 - ينظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط1، القاهرة ، 2000، ص 71/72 .
- 17 - ينظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية (ط1) ، ص 73 / 74 / 75.
- 18 - ينظر: عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية (ط1)، ص 76.
- 19 - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية (ط1) ، ص 77.
- 20 - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية (ط1) ، ص 79.

- 21 - عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية (ط1) ، ص 34/ 35.
- 22 - ينظر : <http://majies.alukah.net /t34799/> (في النقد الثقافي لمحمد حسين الناعي)
- 23 - ينظر : فنسنت بي ليتش: النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ص 107.
- 24 - ينظر : عبد الله الغدامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2005 ص 81.
- 25 - ينظر: (المفاهيم الأساسية في النقد الثقافي) <http://elbou3amrani.blogvie.com>
- 26 - ابن سلام الجمحي :طبقات فحول الشعراء ، تحقيق : محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، (د.ت) ، ص 5.
- 27 - ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده ، تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت (د.ت) ، ص 196/197.
- 28 - ينظر: (المفاهيم الأساسية في النقد الثقافي) <http://elbou3amrani.blogvie.com>
- 29 - ينظر :النقد الثقافي بين المطرقة و السندان لجميل حمداوي
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=31174
- 30 - ينظر :النقد الثقافي بين المطرقة و السندان لجميل حمداوي
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=31174
- 31 - - ينظر: (المفاهيم الأساسية في النقد الثقافي) <http://elbou3amrani.blogvie.com>
- 32 - - ينظر: (المفاهيم الأساسية في النقد الثقافي) <http://elbou3amrani.blogvie.com>
- 33 - ينظر :النقد الثقافي بين المطرقة و السندان لجميل حمداوي
http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=31174